الاشتراكية ـ الصهيونية

إن تراث الاشتراكيين اليهود الذين كانوا يناضلون في الاحزاب العمالية الاشتراكية غير اليهودية،جنبا الى جنب مع اخوانهم من الثوار الاشتراكيين عموما دون تمييز بين يهود وغير يهود ، هو تراث لا ينكر : وعلى عكس هذا التراث الثوري الباهر للثوريين اليهود الحقيقيين فان الصهيونيين اليساريين يقدمون نموذجا مختلفا تماما ، فقد كانوا يتشكلون من فئات اصابها اليأس من التضامن العمالي وهجروا ميدان الكفاح والمعركة في حقيقة الامر . وهنا تحس بثقل آثار التركيب الخاص للمجتمع اليهودي في بلدان شرق اوروبا بوجه خاص ، فقد كان يغلب عليه صفة البورجوازية الصغيرة[٢٣] يضاف اليه ان الغالبية من العمال اليهود كانت تعمل في مؤسسات يهودية ، بحيث نجحت البورجوازية في سلب وعيها الطبقي وحرفه عن مساره الطبيعي . ومن هنا هجر الكثير من العمال اليهود المعركة القائمة في اوطانهم من اجل الاشتراكية ، في سبيل معركة متوهمة في فلسطين اليهودية .

لقد كانت الصهيونية منذ البداية حركة تحريف ، تبنتها البورجوازية اليهودية والاوروبية الرجعية لمواجهة ازماتها ومشاكلها وتحقيق اهدافها الكولونيالية والامبريالية ، الامر الذي دعى فون بلهف Von Plehive الى القول بأن « ما كان يطارد في اليهودي هو الثوري »[٢٤] .

لقد تبلور لمواجهة الموقف جناح اشتراكي داخل الحركة الصهيونية ، حاول أن يحقق التكامل بين اليوتوبيا القومية الصهيونية الرجعية والاهداف البروليتارية الاشتراكية ، وقد اصبح لهذا التيار في اطار الظروف العالمية والتاريخية تأثير حاسم على مجرى الاستعمار الكولونيالي لفلسطين وكان هذا الجناح العمالي للصهيونية يمثله حزب عمال صهيون ، واصبح بيربوروشوف Ber Boroshoo (١٨٨١ ـ ١٩١٧) منظره الأول .

القضية ليست في اخلاص هذا التيار أو بعض افراده للاشتراكية أو عدم اخلاصهم ، بل ماذا كان يعنيه هذا التيار في واقع الصراع العالمي والمحلي في البلدان الاوروبية ، وما انتهى اليه في الواقع سواء في اوطانه أو في فلسطين . ذلك ما يكشف حقيقة هذا التيار ومضمونه ومحتواه الحقيقي والتاريخي .

ينطلق بوروشوف من القول بان اليهود من الناحية الاقتصادية لا يعيشون في مجتمع طبيعي أو ظروف طبيعية . فالطبقة العاملة اليهودية يثقل خطاها ويعوقها تركيبها الاجتماعي الذاتي وغير الطبيعي . فهي اذ تتركز في المستويات الدنيا من الانتاج ، لذلك يسود بينها الحرفيون الذين اصابهم الخراب ، والاجراء في الصناعات الصغيرة المانيفاكتورية ، ومن هنا كان تعرضهم أكثر للهزات ولاثار الازمات والركود الاقتصادي . هذا فضلا عن ان تطور الرأسمالية يتجه الى القضاء على المؤسسات الصغيرة الاستهلاكية وعندئذ يجد العمال اليهود انفسهم عرضة للمزاحمات القومية التي لا ترحم .

في مثل هذه الظروف ، ولغياب « القاعدة الاستراتيجية » المناسبة ـ على حد تعبيره ـ بمعنى القاعدة البرولتيارة المعدمة والحقيقية ، لذلك فان البروليتاريا اليهودية في نظره يصعب عليها أن تستمر في النضال ، وفضلا عن أن جماهير البورجوازية الصغيرة لا تتحول الى